المواطنة وأثرها في السلوك الوظيفي في القطاع العام

د.دهام محمد العزاوي

المقدمة :

في جلسة مشتركة جمعتني قبل سنوات بأحد الاصدقاء في العراق، وخلال تبادلنا لاطراف الحديث وصعودنا الى السيارة الخاصة لي وبعد ان شربنا بعض انواع من المشروبات الغازية قام بفتح نافذة السيارة وألقاها في الشارع مباشرة، ماكان مني الا ان قمت بتأنيبه وتذكيره بان هذا العمل لايمت الى القانون والعرف والاخلاق، فرد علي بغضب وقال: وهل هناك دولة لتغضب لأجلها ؟!. هذه الحادثة بقيت في بالي سنوات طويلة وبالرغم من تكرار مشاهدها يوميا عشرات المرات من قبل مواطنين عاديين لا يأبهون لرمي النفايات في اي مكان يجدونه سواءا في الشارع العام أو امام بيوت الناس أو في الاسواق العامة[1]، الا ان سبب بقاء تلك الحادثة انها صدرت من صديق وهو موظف كبير يتقاضى مرتبا عاليا من الدولة التي يفترض انه عاش فيها وشرب ماءها وتاثر بقيمها وعاداتها الجميلة وانغرست في نفسه معاني الحب والايثار والولاء للارض التي ينتمي اليها.

مشكلة البحث

يطرح البحث اشكالية ضعف مفهوم المواطنة في سلوك وتصرفات ورؤية غالبية موظفي الخدمة العامة، وهذا نابع من اسباب تتعلق بالتنشئة الاجتماعية والسياسية وبقلة برامج التوعية والتثقيف على المواطنة، كما تتعلق بظروف احتلال العراق 2003، وماجرته من مظاهر عدم الاستقرار السياسي وشيوع مظاهر الفساد والارهاب والتهجير .

هدف البحث

يهدف البحث الى التعرف على مدى تغلغل روح المواطنة ومشاعر الهوية في سلوك الموظف العراقي حال استخدامه لسلطة القانون والمال العام وتقديمه للخدمات العامة للمواطن .

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها ان الموظف العراقي قد تأثر في سلوكه الوظيفي بالظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي أوجدتها مرحلة الاحتلال الامريكي للعراق وما بعدها، اذ مع ضعف الرقابة واستناد العملية السياسية لنظام المحاصصة الطائفية وشيوع مظاهر الفساد، فقد تسربت في سلوك الكثير من موظفي الخدمة العامة قيم الغلبة والاستحواذ وتوظيف مؤسسات الدولة لخدمة المصالح الخاصة، وهو ما انعكس في تردي الخدمات العامة وضعف الانجاز وتراجع مؤشرات التنمية.

اسئلة البحث

يطرح البحث مجموعة من الاسئلة عن مدى نظرة الموظف للوظيفة وحجم التأثير الذي تتركه الدائرة في السلوك الوظيفي له. فهل هي مكان للابداع وتحسين المهارات وبناء الشخصية الاعتبارية للموظف في مجتمعه ام هي مكان لأجل الارتزاق والبحث عن الريع؟ وهل يشعر الموظف بالمسؤولية وبدور موقعه الوظيفي في تنمية المجتمع واعلاء قيمه المشتركة في التعاون والتناصر والولاء للوطن؟ فكم من الموظفين اليوم ينظر الى الايفاد الى خارج العراق على انه مشاركة لتنمية المهارات والقدرات واعلاء سمعة الوطن والتنافس مع ابناء الدول الاخرى؟ وكم منهم ينظر على انه استفادة مادية ومعنوية كسفر وايفاد ومتعة ومشاهدة بلاد اخرى؟ وماهو الاثر الذي تتركه الظروف الايجابية التي تحيط بالموظف (ممارسة الاختصاص، المرتب الجيد، الاستقرار في العلاقة مع الزملاء والمدراء)، على سلوكه؟ وما هو دورها في تنمية مشاعر المواطنة وحب الوطن والتضحية في سبيله؟ وماهو الاثر الذي تتركه الظروف السلبية التي يعيشها الموظف في بيئته الاجتماعية من ابعاد وتهميش وحرمان للحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية على سلوكه الوظيفي ومنظومته القيمية المتعلقة بالهوية الوطنية وبسلوك المواطنة؟ فكم من الموظفين منعوا من تسلم مناصب بسبب ظروف سياسية معينة مماولد لديهم شعورا بالاحباط والقلق من مستقبلهم الوظيفي وهو ما انعكس في مشاعرهم السلبية تجاه الوطن والمواطنة !! وكم موظف هجر ووهدد وترك وظيفته وبات مشردا وبلامأوى أو يعيش في الغربة منفيا وبعيدا عن وطنه واهله !! وماهي آثار الاحتلال الامريكي 2003-2011، في مفهوم الهوية والانتماء الوطني من حيث التشظي والتفكيك لمنظومة الولاء والانتماء الوطني حيث بات الكثير من العراقيين يدينون بالولاء لهوياتهم الفرعية بدلا

1 حينما تضعف الدولة عن اداء خدماتها وواجباتها وتقل قيم التربية والتوجيه في المدارس وتسود قيم الغلبة والاستحواذ في المجتمع ويتسيّد السياسيون الفاسدون المشهد السياسي، يصاب المواطن بداء اللامبالاة وعدم الشعور بالمسؤولية، بل يتحول سلوكه الى سلوك عدواني تحريضي ضد الدولة وضد السلطة في اي لحظة او فرصة تتاح له، وربما يكون رمي النفايات في الشارع وتكسير اثاث المدرسة والدائرة وسد المجاري بالاوساخ وتخريب الممتلكات العامة اوغيرها من السلوكيات الشاذة نوعا من الاحتجاج السياسي والمعارضة التي لايمكن التعبير عنها في ساحات الاحتجاج بسبب قمع السلطة وعنف اساليبها ازاء اي احتجاج سلمي للمواطنين ضد نقص الخدمات وتردي الاوضاع المعيشية .

من الهوية الوطنية الجامعة. وقد ترتب على هذا الامر ان الرؤية الامريكية المادية للهوية والانتماء هي التي فرضت نفسها في البيئة العراقية والتي تمثلت في ان الانتماء والولاء للوطن يتحدد في ضوء استفادتك المادية منه وهذا الفهم المادي للهوية بات ينظر الى البلد باعتباره شركة مساهمة فبقدر حصتك فيه يكون انتماؤك اليه[2]. وقد اربك هذا الفهم الجديد للمواطنة المشاعر الوطنية لدى الكثير من العراقيين فما بين الحنين الى المعنى الروحي والوجداني للمواطنة؛ كونها ترتبط بالأرض وذكريات الاباء والاجداد والذاكرة الجمعية للمجتمع ومابين الرؤية الانتهازية التي ترى في الانتماء وعاءا لايمتلئ بمشاعر الرضا والحب الاّ بمقدار حصول الفرد على نصيبه من الثروة والجاه والنفوذ. ان تغلغل هذه المشاعر حصل بسبب تشظي مفهوم السلطة وارتكانها الى المحاصصة الحزبية وانشغال القائمين على السلطة بمنافعهم الشخصية والحزبية مما كرس في عقول المواطنين فهما جديدا للعمل السياسي انعكس في مشاعر سلبية حيال الدولة والسلطة والوطن[3]، وفي ظل غياب كبير لدور الطبقة الوسطى؛ بسبب هجرة الكفاءات وتهجيرها وانعزال الكثير منها اخذ هذا الفهم الشاذ لمفهوم السلطة والوطن يتغلغل في نفوس المواطنين الذين اخذوا ينظرون الى السلطة والوظيفة بوصفها غنيمة وليس تكليفا عاما لخدمة الشعب والمجتمع، ولاشك ان هذا يحتاج لسنوات طويلة من التنشئة الاجتماعية والسياسية التي تاخذ بنظر الاعتبار اعادة وعي المواطن بدور السلطة في خدمة المجتمع وحمايته وتنميته.

اولا: مفهوم المواطنة

المواطنة هي حقوق وواجبات والتزامات المواطن في بلده[4] من حق الحرية والعيش والتنقل والتملك والانتخاب والنشاط المدني والعمل والحماية الاجتماعية وحق التملك والتعليم والزواج والسفر ... الخ، مقابل ان يقوم بواجبات الالتزام بالقانون والولاء للوطن والتعاون في خدمته والمساهمة في الدفاع عنه ضد اي اعتداء خارجي أو نوازع انفصالية تهدد وحدته وتماسك شعبه فضلا عن الاسهام في الحياة العامة كدفع الضرائب والتصويت في الانتخابات العامة وغيرها[5]. وأعطى الفيلسوف الفرنسي جان جاك روسو من خلال مقولته الشهيرة الإرادة العامة، مفهوما أوسع للمواطنة يرتكز على تدبير شؤون المجتمع من لدن أشخاص مدنيين فاعلين، يشكلون أساس مشروعية ممارسة السلطة، في حين حددت دائرة المعارف البريطانية المواطنة بأنها علاقة بين فرد ودولة، يحددها قانون الدولة ودستورها، وما تشمله تلك العلاقة من واجبات وحقوق في ذات الدولة وتخول للمواطن على وجه العموم حقوقا سياسية مثل حق الانتخاب وتولي المناصب العامة وحقوقا اقتصادية واجتماعية، وجاء في موسوعة الكتاب الدولي أن المواطنة (Citizenship) هي عضوية كاملة في دولة، أو في بعض وحدات الحكم، وتخول للمواطنين بعض الحقوق كالتصويت وتولي المناصب العامة، وعليهم واجبات كدفع الضرائب والدفاع عن بلدهم)[6].

ثانيا: شروط المواطنة ومقوماتها

لعل اهم الشروط والمقومات الواجب توفرها لتحقيق المعنى الكامل لمفهوم المواطنة هي الاتي:

1- العدالة والمساواة وتكافؤ الفرص: يعد مبدأ المساواة في تولي الوظائف العامة من اكثر المبادىء أهمية من الناحية العملية في المجال

2 تشكل مفهوم الهوية والمواطنة في امريكا استنادا لظروف ومعطيات تتعلق بهجرة الرجل الابيض من اوربا تخلصا من الاضطهاد الديني وبحثا عن ملاذ امن ولعب التنافس بين المهاجرين المستعمرين دورا في ظهور سلوك انتهازي استحواذي اقصائي لدى سكان القارة الامريكية الجديدة يقوم على ان انتماءك لهذه الارض يتحدد في ضوء ما تملك من ثروة ونفوذ ومكاسب، بمعنى ان الهوية الامريكية لم تتشكل استنادا لمعطيات التاريخ والقومية كما الهوية العربية والفارسية والتركية وانما استنادا لنظرية المصالح والفوائد والاسهم والارباح التي يجنيها الفرد الامريكي من الدولة الامريكية. فالولايات المتحدة شكلت في ظهورها حالة فريدة من نوعها من حيث النظام السياسي، فهي لم تتشكل كدولة مثل كل الدول، وانما كانت مجموعة ولايات، الكثير منها كان عبارة عن شركات منذ القرن السابع عشر، تحولت الشركة إلى ولاية ووضعت لها قوانينها التي لا تختلف كثيراً عن قوانين الشركة، ثم اتحدت تلك الولايات لتشكل نظام شق لنفسه تجربة جديدة ليعبر عن مصالح الولايات مجتمعة أو الشركات، وبالتالي فان النظام الامريكي هو نظام ادارة وليس نظام حكومة الولايات المتحدة، حيث لايلعب الوزراء او الرئيس اي دور في صناعة القرار وانما اصحاب الشركات الكبرى واللوبيات اليهودية وغيرها من جماعات الضغط المسيطرة على القرار الامريكي. للمزيد انظر أكرم عطا الله، إمبراطورية المصالح : قراءة في صناعة القرار الطريق إلى التغيير! مقال منشور في موقع http://www.siironline.org/ تاريخ الدخول 10-11-2020 .

3 يقول المفكر العربي المصري الكبير عبد الوهاب المسيري رحمه الله : عندما يدرك الناس أن الدولة تدار لحساب نخبة وليس لحساب أمة؛ يصبح الفرد غير قادر على التضحية من أجل الوطن وينصرف للبحث عن مصلحته الخاصة، وهذا ما يحصل في بلداننا العربية حيث قلة تملك وكثرة تتسول لتعيش في القاع والحواشي. حول هذا الموضوع انظر اسعد كاظم شبيب الطبقية والطبقة الوسطى في العراق، مقال منشور في موقع النبأ https://www annabaa. org/ بتاريخ 13 حزيران 2020

4 حول مفهوم المواطنة انظر: Citizenship definitions, 2020-11-12 In https://www.yourdictionary.com

5 حول مزيد من التعاريف لمفهوم المواطنة انظر : https://dictionary. cambridge.org/ في 8-11-2020.

6 - غزلان جنان، المواطنة : مفهومها ومقوماتها، موقع المشاهد 24، تاريخ الدخول 27-9-2018. 25-5-2015 .

الوظيفي كونه يعد السور الاول لضمان تمتع جميع المواطنين بحقهم في الحصول على الوظائف العامة على قدم المساواة على وفق معايير الجدارة وتكافؤ الفرص، الى جانب ذلك فإن تمتع الموظف، بوصفه مواطناً كسواه من المواطنين، في حريته في التعبير عن الرأي ينبغي ان لا يشكل سبباً لمنعه من نيل حقه في التوظف أو الحصول على حقوقه اثناء حياته الوظيفية لذلك يتعين ان يكون هنالك توازن حقيقي بين الحق في تولي الوظائف العامة وحرية التعبير عن الرأي من خلال ايجاد ضمانات قانونية تكفل تطبيقاً سليماً وواقعياً للمساواة في تولي الوظائف العامة بعيداً عن التمييز على أساس المحاصصة الطائفية أو الحزبية أو الدينية. وقد اكدت جميع التشريعات الدولية والدساتير في مختلف دول العالم ومنها العراق على مبدأ المساواة في تولي الوظائف العامة إذ نصت على ان الوظائف العامة حق للمواطنين على اساس الكفاءة ودون محاباة أو وساطة ودون تمييز بسبب الجنس أو الدين أو المعتقد أو الانتماء[7].

1 - ان اضعاف أو الغاء مبدأ المساواة والعدالة في الحصول على الوظيفة وممارسة سياسات الابعاد والتهميش لجماعة معينة على اساس ديني أو طائفي أو عرقي هي احد موجبات عدم الاستقرار السياسي والاجتماعي في البلد وهي احد شروط الغاء مفهوم المواطنة[8] وتعطي المبرر لممارسة كل اشكال الاحتجاج السلمي لاستعادة الحقوق. وتشكل الديمقراطية الحقيقية ووجود نظام سياسي قوي وقضاء عادل اهم مقومات تطبيق المساواة والتي تتيح للمواطنين الحصول عل حقوقهم وفقا للقواعد القانونية والدستورية وهي احد مفاتيح الاستقرار السياسي في البلد[9].

2- المشاركة في الحياة العامة : وهي مجموع الأنشطة التي يمارسها المواطن فرديّا أو جماعيّا. يحقّق المواطن من خلال أنشطته المصلحة العامّة ويساهم في سَنّ القوانين التي تضمن احترام حقوق الإنسان والمواطن وتتجلّى المشاركة في الحياة العامّة من خلال طرق واشكال متعدّدة كالنشاطات الثقافية (المشاركة في مسابقات الرسم، المسرح، الرياضة)، الاجتماعية (المشاركة في الحملات التطوعية لرعاية الايتام ومساعدة النازحين والمهجرين والايتام وتنظيم حركة المرور في الاماكن المزدحمة وغيرها) والسياسية كالمشاركة في الدفاع عن البلد ضد الاعتداءات الخارجية والمشاركة في الانتخابات والانضمام الى الاحزاب السياسية ذات الصبغة الوطنية وضمان الوصول الى المناصب العليا والمشاركة في صنع القرار السياسي والاداري[10].

ومن قيم المشاركة في الحياة العامة هي التحلي بالتسامح والمرونة في الحوار والاستماع الى الاخرين[11] وعدم التمسك بالرأي الشخصي والسعي الى توطيد العلاقات بين افراد المجتمع ونشر المحبة والتعاون بينهم ومساعدتهم وقت الازمات [12].

والمشاركة في الحياة العامة تبرز بشكل جلي في فضاءات الحرية والديمقراطية والاستقرار السياسي والمجتمعي والتي تتيح للأفراد رجالا ونساءً حرية التعبير عن الراي والابداع والتطوير، في حين تكون ظروف الاستبداد وقمع الحريات العامة واجواء الكراهية، كما هو سائد في الكثير من الانظمة العربية والاسلامية عوامل مساعدة لنمو الخوف عند المواطن والشعور برغبة الابتعاد عن الحياة العامة والانعزال ومن ثم الهجرة عن البلد الى مواطن يشعر فيها بالأمن والاستقرار[13].

3- الولاء للوطن : الولاء للوطن هو شعور فطري ينتاب اي مواطن ويدفعه لخدمة وطنه ومجتمعه، والعمل على تنميته والرفع من شأنه، وحماية مقوماته الدينية واللغوية والثقافية والحضارية، والشعور بالمسؤولية عن المشاركة في تحقيق النفع العام، والالتزام باحترام حقوق وحريات الآخرين، واحترام القوانين التي تنظم علاقات المواطنين فيما بينهم، وعلاقاتهم بمؤسسات الدولة والمجتمع، والمساهمة في حماية جمالية ونظافة المدينة أو القرية التي يقيم بها، وحماية البيئة فيها، والمشاركة في النفقات الجماعية، وكذلك الاستعداد للتضحية من أجل حماية استقلال الوطن، والذود عن حياضه، وضمان وحدته الترابية، والارتكاز في ذلك على مبدأ عام يُفترض أن يربط بين مختلف فئات المواطنين وهو اعتبار المصالح العليا للوطن فوق كل اعتبار، وأسمى من كل المصالح الذاتية الخاصة والأغراض الفئوية الضيقة. ومن المهم الاشارة الى ان الشعور بالولاء للوطن هو شعور يجمع كل مواطني الدولة

7 - تغريد محمد قدوري، مبدأ المساواة في تولي الوظائف العامة وأثره في حرية الموظف في التعبير عن رأيه، كلية القانون - جامعة بغداد، منشور في موقع iasj في 2017 .

8 حول ارتباط التمييز العنصري بعدم الاستقرار السياسي انظر د.شريفة فاضل بلاط، أثر التمييز العنصري على الاستقرار السياسي بالتطبيق على دول الثورات العربية (2010- 2020)، المركز الديمقراطي العربي https://democraticac.de/ بتاريخ 20-6-2020

9 مؤسسة فردرشيتش ايبرت، مدخل الى الديمقراطية الاجتماعية، مؤسسة فردريتش ايبرت، ط 3، عمان، شباط 2017 .

10 محمود المحمد، بانة ابراهيم، المشاركة السياسية وأثرها في تنمية قيم المواطنة، مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية، كلية الاداب والعلوم الانسانية، العدد 5، المجلد 35، دمشق، 10-9-2013 .

11 فؤاد عبدالله العمر، اخلاق العمل وسلوكيات العاملين في الخدمة العامة والرقابة عليها من منظور اسلامي، المعهد الاسلامي للبحوث والتدريب في البنك الاسلامي للتنمية، مكتبة الملك فهد الوطنية، 1999.

12 - موسوعة العلم، مفهوم المشاركة في الحياة العامة، مقال منشور في موقع موسوعة العلم nadhembelhadjali. بتاريخ 27-9-2015 .

13 الدولة الحزبية نقيض للدولة الديمقراطية، مقال منشور في موقع ميدل ايست اونلاين https://middle-east-online.com/ 19/04/2007

سواء المقيمين في داخلها أو خارجها فالولاء هو صفة لصيقة بالمواطن وان تغيرت ظروفه[14].

4- التربية على المواطنة: تظهر أهمية التربية على المواطنة وحقوق إلانسان باعتبارها مجال من المجالات الاساسية التي تضطلع بمهمة ترسيخ القيم المستديمة الخاصة بحقوق الانسان والمتسمة بالانسجام والديمومة في وعي وسلوك الافراد والجماعات والمؤسسات. وتمارس عدة مؤسسات في المجتمع دورا مؤثرا في تنشئة الاجيال على المواطنة في مقدمتها الاسرة والمدرسة والجامعة والجيش والوظيفة العامة والمجتمع والمؤسسات الدينية من خلال العقائد والسلوكيات وكذلك وسائل الاعلام ومنظمات المجتمع المدني[15].

ولعل من أبرز الظواهر التي تؤثر في تراجع الدول العربية هو نقص اساليب التربية على المواطنة، وما يترتب عن ذلك من ضعف الإحساس بالمسؤوليات والالتزامات تجاه الوطن، وإذا كان من الممكن تبرير اقتران هذه الظاهرة السلبية بأشخاص لم يلجوا المدرسة، أو انقطعوا عنها في مستويات متدنية، فإنه من الغريب أن تقترن بأشخاص يُفترض أنهم من النخبة، بالنظر لمستوياتهم التعليمية، ومواقعهم المهنية والاجتماعية، فهناك اشخاص كثر في مجتمعنا يرددون كلمة المواطنة، ولكنهم لا يترجمون في سلوكهم اليومي ما تفرضه المواطنة من واجبات والتزامات، وهو سلوك انانيي من اشخاص تسيطر عليهم الأنانية الذاتية فيعيشون لأنفسهم فقط، ويعدّون أن الوطن يجب أن يوفر لهم ما يحتاجون إليه من خدمات عامة متنوعة دون أن يساهموا بأي عمل لصالح هذا الوطن، ومثال اولئك الذين يتهربون من دفع الضرائب[16]، أو يتعمدون الغش في نشاطهم المهني، أو يقومون بتسريب اسئلة امتحانات البكلوريا وفسح المجال لغش الطلبة أو يفشون اسرار دوائرهم وكذلك الذين يستغلون مواقع النفوذ للارتشاء وممارسة المحسوبية والزبونية، وتشجيع الوصولية، ونهب المال العام، أو استغلال الممتلكات العامة لمصلحتهم الخاصة، أو يهربون الأموال إلى خارج البلاد وغيرها من المظاهر التي تخل بمفهوم المواطنة. وعليه فان التربية على المواطنة، فضلا عما تتطلبه من توجيه سليم، وقدوة صالحة، داخل الأسرة والمجتمع، فانها تتوقف على دور الحكومة في تفعيل دور المدرسة وتوحيد مناهج التعليم، وضمان تكافؤ فرص التعليم والمساواة بين جميع أبناء الوطن الواحد، وتعظيم الجرعات التعليمية التي يتلقاها الطلاب بقيم المواطنة والهوية الوطنية والديموقراطية وحقوق الإنسان وحق الاختلاف، وتنمية الإحساس بالمسؤولية الوطنية، وحب العمل الجماعي، وقبول الاختلاف، والتعايش مع الآخر، وتغذية الطلبة بقيم التسامح، ونبذ العنف والإقصاء، والاعتدال وعدم التطرف، وأخذ المعرفة على أساس النسبية، وتعويد الطلاب على المناقشة والتحليل، واستعمال الفكر، والاحتكام إلى العقل في الاستنتاج، والتمرس بالتعبير عن الرأي، في إطار الحوار المنتج، ولاشك ان هذا الامر لايمكن ان يتم من خلال المناهج فحسب وانما من خلال تطوير قدرات المعلمين والاساتذة الجامعيين في هذا الجانب وتحسين بيئة التعليم[17] من خلال مدارس تتوافر على احدث اساليب ومناهج التعليم المتوافقة مع التطورات العالمية .

ثالثا: الموظف العراقي واشكالية المواطنة

ان الموظف العراقي شأنه شأن اي موظف في الدول الاخرى يفترض به الالتزام بالواجبات العامة أو قواعد العمل والتي هي مجموعة من الافعال والتصرفات التي يجب على الموظف الالتزام بها مثل تمكنه من مهام الوظيفة التي يقوم بها والالتزام بالقانون وبتحقيق المصلحة العامة والمحافظة على المال العام والالتزام بأوامر الجهات الادارية العليا فضلا عن ادب اللباقة وحسن التعامل مع الجمهور أو المواطنين[18] هو بالنتيجة انسان لديه مشاعر واحاسيس تتأثر بمجمل الاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية السلبية التي مر بها العراق من حروب وعقوبات اقتصادية واحتلال امريكي وما جره من تفكك اجتماعي وصراعات واعمال تخريب وارهاب وتخريب وتهجير، وقد انعكست تلك الظروف

14 بدر علي العبد القادر، الانتماء الى الوطن واثره في حماية الشباب من الانحراف، بحث مشارك في مؤتمر واجب الجامعات السعودية واثرها في حماية الشباب من الجماعات والاحزاب والانحراف، جامعة محمد بن سعود الاسلامية، المملكة العربية السعودية للفترة 28-29 كانون اول يناير 2018 .

15 المجلس الوطني لحقوق الانسان في المغرب، التربية على المواطنة وحقوق الانسان : فهم مشترك للمبادئ والمنهجيات، المغرب، 2014 ص ص 7-9 .

16حيث ان مشكلة التهرب الضريبي مرتبط بضعف القيم الاجتماعية و التقافية المحمولة داخل المجتمع و ضعف قيم المواطنة للمزيد انظر: الغرفار العياشي، التهرب الضريبي : و قيم المواطنة السلبية دراسة استكشافية بمنطقة قلعة السراغنة 2019، موقع الحوار المتمدن، الحوار المتمدن
https://w ww.ahewar.org بتاريخ، 8 / 3 / 2020

17 المجلس الوطني لحقوق الانسان في المغرب، التربية على المواطنة وحقوق الانسان، مصدر سبق ذكره، ص ص 8-9

18 مع وجود هذه القواعد الايجابية لتعامل الموظف في دائرته، عليه الابتعاد عن ممارسة بعض العادات السيئة او السلبية مثل عدم افشاء اسرار الدائرة وعدم قبول الهدايا وعدم استغلال الوظيفة لاغراض شخصية. حول هذا الموضوع انظر زروقي يحيى، اخلاقيات الاعمال والفساد الاداري في القطاع العام، اطروحة دكتوراه غير منشورة في العلوم الاقتصادية، كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير، جامعة ابي بكر بلقايد، الجزائر، 2017، ص 99 .

بلا شك في سلوكه الاجتماعي والوظيفي، ولم تستطع الحكومات العراقية المتعاقبة منذ 2003، ان تردم التردي أو التراجع الذي حصل في منظومة القيم الوطنية[19]، بل زاد الصراع السياسي على السلطة وحجم المحسوبية وصعود القيم القبلية والاثنية من تراجع مفهوم الولاء الوطني فبات الولاء للعشيرة والطائفة والهويات الفرعية مقدما على الولاء للوطن وقيمه الجامعة، فتأثرت قيم وسلوكيات الموظف بهذه الاجواء السلبية المحيطة به فانعكس بشكل واضح على اداءه الوظيفي. وعلى اية حال فإننا يمكن ان نشير هنا الى جملة اسباب أسهمت بشدة في تراجع قيم المواطنة في سلوك الموظف العراقي منها مايأتي :

1 - ضعف الوعي السياسي لدى الموظف بمفهوم المواطنة وعدم قدرته على ادراك ان الوظيفة العامة هي اي احد مداخل بناء هويته الوطنية ومنزلته الاجتماعية، حالها حال الجيش والرياضة والفن[20]، فالوظيفة العامة تخلق شخصية وطنية عامة وهي احد مداخل الصعود الى السلطة على الصعيد الوطني، حالها حال الضباط الكبار والرياضيين والفنانين، كما ان التعيينات المركزية والتنقلات في مواقع الوظيفة من محافظة الى اخرى ساهم في صقل شخصية الموظف وخلق منها شخصية وطنية مندمجة مع الاخر في المحافظات المختلفة، فكثير من الموظفين الكرد مثلا تم نقلهم الى محافظات جنوب العراق واستقروا هناك واندمجوا وتوظفوا وكثير من مواطني الجنوب والوسط استقروا في المحافظات الشمالية وهكذا.

2- عدم التفريق بين مفهوم الدولة ومفهوم الحكومة: ففي الوقت الذي يشكل هذا النقص المعرفي اشكالية لدى غالبية العراقيين، فان المعضلة العملية لهذه الاشكالية تظهر وقت الازمات السياسية وحالات الانهيار التي يمر بها العراق، حيث يضعف القانون وتختفي مظاهر السلطة ويتاح المجال امام المهمشين والغاضبين والمتذمرين من اداء السلطة للسيطرة على المشهد السياسي والاجتماعي للدولة في ظل غياب تام للتفريق بين الدولة بمؤسساتها وقوانينها وتاريخها وبين السلطة أو الحكومة التي تمثل لحظة عابرة في تاريخ الدولة السياسي. وهكذا ففي ظل انهيار الاوضاع وسقوط الدولة تنمو الجماعات الخارجة عن سيطرة الحكومة لتنتقم من الدولة من خلال تخريب السلم المجتمعي ونهب املاك الدولة وحرق واتلاف الوزارات وسرقة ممتلكاتها وهذا ما شاهدناه في الازمات التي مر بها العراق في عام 1991، وفي 2003، وفي الاحتجاجات التي حصلت في العراق في كانون ثان 2013 واحتجاجات تشرين ثان 2019، حيث شاهدنا جموع من السكان تندفع باتجاه سرقة وحرق مؤسسات الدولة ظانين انها تعود للحكومة في مشهد يؤكد انعدام الوعي الجمعي للتفريق المفهومين[21].

3- ان تورط بعض السياسيين واعضاء البرلمان والمجالس المحلية في المحافظات بقضايا فساد ومحسوبية وارتباطات ما دون الوطنية وعدم محاسبتهم واحالتهم الى القضاء، قد انعكس في نظرة الموظف الى الوظيفة العامة والى تدني حرمة المال العام واستحلاله واعتبار الوظيفة مصدرا للاثراء والحصول على الامتيازات والوجاهة. وهذا مخالف لمبدأ تكافؤ الفرص والعدالة والشفافية والمساءلة والنزاهة والمهنية والحيادية[22].

4 - لايزال الكثير من الموظفين يعملون وفق مفهوم المنصب لأجل الريع، اي انهم يعملون لأجل الاجر وتحسين الدخل دون اعتبار المنصب وظيفة عامة تعود بالنفع والتطوير على المجتمع ومؤسسات الدولة، بل بالنفع المعنوي عليه وعلى عائلته[23]. وهو في الحقيقة عين الفساد لأنه يقوم على اساس الاستغلال للسلطة والوظيفة لتحقيق مصالح خاصة على حساب مصالح عامة وهو استغلال لحاجة الناس في انجاز مصالح معينة عن طريق من بيده تحقيقها عن طريق الرشاوى والعمولات التي حرمها الشرع والقانون[24].

5-لقد انعكس التشظي في المشهد السياسي والاجتماعي من حيث ضعف مفهوم المواطنة

19 أ. جمال القيسي، آثار الاحتلال على منظومة القيم الاجتماعية للمجتمع العراقي، مقال منشور في موقع البيان https://www. albayan.co.uk بتاريخ 23 ربيع الاول 1442 .

20 أحمد صادق المندلاوي، المشهد العراقي.. وإشكالية بناء وعي مجتمعي، صحيفة الزمان، بغداد في 27-اذار-2018

21 لاشك ان مرد غياب الوعي هو استثمار الحكومات العراقية المتعاقبة لمؤسسات الدولة وثرواتها لترويج سياساتها واظهار نفسها على انها تمثل المجتمع وتعبر عن طموحاته وهذا ديدن غالبية الحكومات الشمولية في العالم، وهنا نستحضر المقولة الشهيرة لملك فرنسا لويس الرابع عشر حينما قال: الدولة انا وانا الدولة في اشارة واضحة الى تمازج الارادة الشعبية للشعب والدولة بالارادة السياسية المطلقة للحكومة وممثليها بل ان الحكومة ممثلة بالملك او الرئيس لا يخضع لاي سلطة او ارادة شعبية. حول هذه المقاربة انظر: الاء جرار، من قال انا الدولة والدولة انا، مقال منشور في موقع موضوع com.https://mawdoo3/ بتاريخ 20-2-2018 .

22 خالد محسن الروضان، مجالس المحافظات وأسباب الفشل والفساد، صحيفة الزمان، بغداد مايو 14, 20191529 .

23 عماد عبد اللطيف سالم، الفساد والمناصب : ريع الفساد .. وريع الراتب، موقع الحوار المتمدن، https://www.ahewar.org/ بتاريخ 2011 / 3 / 2

24 احمد جابر حسنين علي، اخلاقيات العمل بين الدين والمجتمع، المنظمة العربية للتنمية الادارية، القاهرة، 2011، ص 31 .

وعلو مفاهيم الطائفة والعشيرة والقومية في سلوك الموظف العراقي، فبات الكثير من الموظفين عنصريين وعشائريين ويتصرفون بسلوكيات تثير زملائهم ويسعون لاستغلال وظيفتهم لخدمة اغراض أو أهداف أو مصالح حزبية أو فئوية أو جهوية أو شخصية[25]، فسادت سلوكيات الاحتكار والانانية والغلبة والمحسوبية بدلا من سلوكيات التعاون والابتكار والعدالة وتكافؤ الفرص [26].

6-ان ضعف تطبيق القانون وتراجع العدالة في تولي المناصب واستنادها الى قيم القرابة والطائفة والاعتبارات الشخصية والحزبية وليس على الكفاءة والمهنية انعكس في مفهوم الولاء والانتماء الوطني للموظف، حيث تراجعت تلك القيم وأسهمت في احباط الكثير من الموظفين الاكفاء وانزواءهم بل وتركهم للوظيفة العامة والهجرة الى الخارج في احيان كثيرة.

7-ان انعدام العدالة في سلم المرتبات التي يتقاضاها الموظف قد لعبت دورا كبيرا في ضعف الدافعية أو الحافزية لدى الموظف، حيث تجد موظفا متميزا ويمتلك خبرة عالية ويعمل في دائرة مرتباتها متواضعة في حين ان موظفا اخر يملك ذات الشهادة والاختصاص ولايمتلك خبرة كبيرة ولكنه يعمل في احدى دوائر الرئاسات الثلاث أو البرلمان أو مجلس الوزراء أو الهيئات المستقلة ويتقاضى راتبا متميزا، ولاشك ان هذا الموضوع ينتج مشاعر سلبية لدى الموظف ويسهم في تراجع قيمه الدافعة نحو الولاء والتعاون والاخلاص في العمل[27].

8-ضعف التدريب للموظفين واستناد التعيينات على العلاقات القرابية عبأ الدوائر بموظفين غير منتجين أو كفوئين وأسهم ضعف القانون وسيادة قيم المحسوبية والعلاقات الخاصة في تسلق الكثير من موظفي الصدفة لمناصب كبيرة وحساسة مما ولد احباطا وتراجعا في قيمة الوظيفة العامة ودورها الوطني[28].

9-ان تدني قيمة العمل في نظر الموظف وسيادة قيم الواسطة والمحسوبية والرشوة في التعيين وفي الحصول على المناصب الوسطى والعليا قد انعكس في تراجع مستوى الانتاج[29] حيث يبلغ معدل انتاج الموظف العراقي اقل من ساعة في اليوم مقارنة بالدول المتقدمة التي يبلغ فيها معدل الانتاج سبع ساعات في اليوم، ويضيع الموظف العراقي وقته في الافطار الجماعي بين الموظفين وفي المكالمات الهاتفية وفي الدردشة على مواقع التواصل الاجتماعي وفي التدخين وفي شرب الشاي أو القهوة وغيرها من السلوكيات التي باتت تعبر عن ضعف في القيم الوطنية الدافعة نحو العمل والانجاز[30].

رابعا: ما العمل؟

يعد ضعف المواطنة في سلوكيات الموظف العراقي من اهم المواضيع التي يجب على الباحثين دراستها بعمق نظرا لتأثيراتها الحالية والمستقبلية على ازدهار البلد وتقدمه، ومما لاشك فيه ان اي دولة تهدف لتنمية واقعها السياسي والاقتصادي لابد ان تحرص على تنمية اداء العاملين في القطاع العام وتقوية ولاءهم للدولة وللنظام السياسي، وعليه هنالك مجموعة من الاجراءات التي يجب على الدولة والحكومة تبنيها لإعادة وعي المواطن العراقي ومن ثم الموظف العراقي بولاءه للوطن والاندفاع في خدمته، حيث هناك مجموعة من الخطوات في هذا الاتجاه من اهمها:

- قيام حكومة وطنية شاملة تمثل جميع العراقيين وتقضي على المحاصصة الحزبية والاثنية في تولي الوظائف العامة وتقطع دابر الفساد وتفعل دور القانون في الرقابة والشفافية وتمنع استغلال الوظيفة للأغراض الحزبية والشخصية.
- الاهتمام بتنشئة الاجيال العراقية الصاعدة على المفاهيم الوطنية والولاء للوطن والاخلاص اليه واعلاء روح العمل الجماعي والتكاتف بين المواطنين وهذا يتم من خلال مناهج التعليم الابتدائي والثانوي وعبر تفعيل دور اساتذة الجامعات مع طلبتهم فضلا عن تعزيز دور الصحافة ووسائل الاعلام ورجال الدين في تغذية المواطن بهذه القيم.

25 دهام محمد العزاوي، الطبقة الوسطى في العراق ودورها في تحقيق الوحدة الوطنية : قراءة نقدية لمابعد 2003، مجلة العلوم السياسية، جامعة النهرين كلية العلوم السياسية، بغداد 2019 .

26 عمار السواد، واقعة العقال وعشائرية السلطة العراقية، موقع ايلاف https://elaph.com/ بتاريخ 22-حزيران يونيو 2011 .

27 بارق محمد رضا شبر، إشكالية رواتب الموظفين وقضية العدالة الاجتماعية في العراق، شبكة الاقتصاديين العراقيين http://iraqieconomists.net/ بتاريخ 26-4-2020 .

28 جمال لطفي، الواسطة والمحسوبية.. سوس ينخر في المؤسسات العامة والخاصة، https://al-sharq.com/ بتاريخ 32 كانون ثان 2017

29 ان العمل قيمة عليا تصقل شخصية الانسان وتعكس واقعه الاجتماعي والاقتصادي، وغاية العمل هو بناء الانسان وتعمير المجتمع وفسح المجال امام الفرد ليعبر عن مواهبة التي خلقها الله فيه لتعمل لا لتعطل او تهمل، فمواهب الفرد هي تكليف الهي للفرد بالعمل قال تعالى : (لا يكلف الله نفسا الا ما اتاها) الطلاق / 7، فهي مناط تكليف ومن اهمل العمل او قلل من قيمته فلا تكليف له، فالعمل عبادة في الاسلام وهو تكليف شرعي او فريضة يلقيها الاسلام على الفرد وليس مجرد حق للفرد، وبالتالي فان هذا الفهم المتقدم لقيمة العمل غاب عن مجتمعنا وافرادنا فبات العمل في نظرهم فرصة للإثراء والوجاهة اكثر من كونه قيمة اجتماعية وشرعية. للمزيد انظر: احمد جابر حسنين علي، اخلاقيات العمل بين الدين والمجتمع، مصدر سبق ذكره، ص 104 .

30 خلصت دراسة أجراها الاتحاد العام للتنمية البشرية العربي الى ان «معدل إنتاجية العامل العربي هو من أقل المعدلات في العالم، بسبب التخلف الاقتصادي، وأن ساعات العمل الحقيقية للعامل أو الموظف العربي خلال الدوام اليومي لا تزيد على 18 دقيقة إلى 25 دقيقة، وان معدل انتاجية الموظف العراقي لا تتجاوز 17 دقيقة في اليوم وهو ما يمثل انتكاسة حقيقية لقيم المواطنة والولاء. انظر الدراسة المنشورة في موقع http://oneiraqnews.com/ حول : حقائق وأرقام عن موظفي العراق.. أين يذهب جهد أربعة ملايين موظف؟ بتاريخ 28-9-2016 .

• تفعيل مدونات السلوك الوظيفي التي تهتم بالتوعية واخلاق العمل والمهنة وتدرب الموظف على التعامل مع المشاكل المستجدة في العمل وبما يمنع من توظيف تلك المشكلات لإثارة قضايا عنصرية ويقضي على مفاهيم الواسطة والمحسوبية واستغلال الوظيفة العامة للأغراض الشخصية[31] ومحاسبة الموظفين الذين يروجون للقضايا التي تثير العنصرية وتخل باللحمة الوطنية بين الموظفين.
• زيادة وعي الموظفين بان الوظيفة هي مدخل لبناء الهوية الوطنية بالتلاقي والاندماج والتناصر بين الزملاء في العمل لخدمة المجتمع، وان الحصول على المرتب هو حق مشروع للموظف لقاء عمله ولكن لايجب ان يكون هو الهدف الأسمى أو ان يكون على حساب الابداع والابتكار الذي يخدم ويرفع من مكانة الدائرة أو المؤسسة التي يعمل بها.
• تعديل سلم الرواتب ومساواته بين الموظفين من اصحاب الاختصاص الواحد والعمل بنظام الحوافز والمكافأت لتشجيع الموظفين على الابداع والابتكار واستمرار الاحتفال بيوم الموظف المتميز.
• زيادة وعي الموظفين بالحفاظ على ممتلكات الدولة وأنها ملك للشعب وان وظيفة الحكومات هي حراسة وحماية وتنظيم التدافع الاجتماعي السلمي بين المواطنين وبما يحقق الاندماج والانسجام والوحدة بينهم.
• تعزيز دور القانون والرقابة الوظيفية لمحاسبة الموظفين المخالفين وبما يعدل من سلوكه الوظيفي، اذ ان دور العقوبة ليس الحرمان أو المنع وانما التقويم والتعديل للسلوك الانساني، وفي ظل ضعف تطبيق القانون في العراق فان سلوكيات بعض الموظفين قد انحرفت عن المسار الوظيفي العام وانزلقت في متاهات الرشوة والمحسوبية وضعف القيم الوطنية، تفعيل العقوبات القانونية الرادعة والتي تفعل من مدونات السلوك وبما يعدل من سلوك الموظف ويحسن اداءه.

31 فؤاد عبدالله العمر، اخلاق العمل وسلوكيات العاملين في الخدمة العامة والرقابة عليها، المصدر السابق، 84 .

سيصدر قريباً